The View of Francis Fukuyama of state-building, the State of Iraq post-Saddam as a sample

Asst. Lec. Qais N. Rahai
Basra & Arab Gulf Studies Center
University of Basra

Abstract:

This research aims to study the view of Francis Fukuyama of state-building, State of Iraq post-Saddam as a model.The subject of the state is at the essence of political philosophy investigation , both theoretical and practical. The United States of America is the primarily responsible for the process of building a state of post Saddam Iraq, thus the responsibility for change.

The resolve of the United States is different from the pre-2003,it did not work on building a state to be a model for countries in the region in the system's security and political and economic.

رؤية فرنسيس فوكوياما لبناء الدولة
دولة العراق مابعد صدام نموذجاً

م.م قيس ناصر راهي
مركز دراسات البصرة والخليج العربي/جامعة البصرة

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة رؤية فرنسيس فوكوياما لبناء الدولة، وقد اختيرت دولة العراق ما بعد صدام كأنموذج. إذ إن موضوع بناء الدولة يعد من صميم مباحث الفلسفة السياسية بفرعيها النظري والعملي. وأن البحث ينطلق من القول بأن الولايات المتحدة الأميركية هي المسؤول الأول عن عملية بناء الدولة العراقية ما بعد ٢٠٠٣ لأنها أخذت على عاتقها عملية التغيير.

ومن نتائج البحث أن عزيمة الولايات المتحدة الأمريكية قد اختلفت عما كانت عليه قبل إسقاط صدام إذ لم تعمل على بناء دولة تكون نموذجا لدول المنطقة من حيث الرفاه الاقتصادي والديمقراطية كما ادعت قبل التغيير.

المقدمة:

تتبع حقيقة الوجود الفعلي للدولة من الواقع العملي، أما نصيب الفلسفة– الجانب النظري– فهو التأمل في الأسس التي تتبني عليها، وما الدولة المعاصرة إلا نتاج التطور التدريجي لتلك النماذج الاجتماعية التي عكف الفلاسفة في لحظات تاريخية مختلفة لوضعها، وقد انطلقوا من الغريزة الاجتماعية التي يميل إليها الإنسان، ووضعوا لتلك النماذج نظماً سياسية واجتماعية واقتصادية، وليس هناك أية مغالاة إذا وصفت تلك المجتمعات بانها مثالية، وهذه المثالية تبدأ من الفرد لتنتهي بالمجتمع، ذلك أن هناك التزاما متبادلا بينهما من أجل تحقيق المنفعة والمصلحة والأمن والاستقرار لأكبر عدد من الناس، وأسمى هذه الأمور بالتأكيد تحقيق العدالة.

إن التصورات العامة لبناء الدولة، والغاية من بنائها قد نظر لها فلاسفة السياسة، باستثناء ما حصل في أواخر القرن العشرين الذي كثرت فيه الدعوات إلى تحجيم دور الدولة، لكن مع بداية القرن الحادي والعشرين أُعيد طرح مشروع بناء الدولة من جديد، تلك الدول التي تخرج من حرب أو تتحرر من نظم استبدادية، والإسهام في إعادة بنائها يكمن في اتقاء خطرها الذي يتعدى إلى الدول الأخرى، وهنا يتبين أن الغاية من بناء الدولة اختلفت في العصر الحاضر عن العصور الماضية، لأن الغاية قد اختلفت من منطلق أن الإنسان كائن اجتماعي بل لأنه كائن عدواني .

وبما أن موضوع الدولة من صميم مباحث الفلسفة السياسية بشقيه (النظري والعملي)، لهذا ارتأى الباحث دراسة بناء الدولة العراقية ما بعد ٢٠٠٣ من منظور فرنسيس فوكوياما، الذي عالج مسألة بناء الدولة في القرن الحادي

والعشرين، وناقش فيها موضوعات عدة منها مشكلة الحكم والإدارة، وتم في هذه الدراسة توظيف هذه الرؤية عملياً على العراق، إذ إن الدولة العراقية عانت من مشكلة بناء الدولة منذ بداية تأسيسها في عام ١٩٢١ والى عام ٢٠٠٣ ، وليس هناك ضرب من المبالغة إذا قيل إن هذه المسألة – بناء الدولة– استمرت حتى كتابة هذا البحث .

أولاً / فرنسيس فوكوياما حياته ومؤلفاته :

ولد فوكوياما في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٢ في شيكاغو، وحصل على درجة البكالوريوس في الدراسات الكلاسيكية من جامعة كوريل، وعلى الدكتوراه من جامعة هارفارد في العلوم السياسية، وقد عمل في وظائف عديدة، إذ كان عضواً في مؤسسة راند في المدة ١٩٧٩ – ١٩٨٠ ثم مرة أخرى ١٩٨٣–١٩٨٩ ومن ١٩٩٥– ١٩٩٦ (١) .

وفي المدة الزمنية الواقعة بين ١٩٨١–١٩٨٩ كان عضواً في لجنة السياسات والتخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، حيث بدأ عضواً عادياً متخصصاً في قضايا الشرق الأوسط، ثم نائباً لمدير الشؤون الأوربية للشؤون السياسية والعسكرية، وفي عامي ١٩٨١–١٩٨٢ كان عضواً في الوفد الأمريكي في محادثات جرت بين مصر وإسرائيل، وفي المدة مابين ١٩٩٦–٢٠٠٠ كان عضواً في الوفد الأمريكي الذي أجرى محادثات بشأن القضية الفلسطينية، وفوكوياما كان عضواً في المجلس التابع لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية للأخلاقيات البايلوجية ما بين ٢٠٠١–٢٠٠٥(٢)، أما أبرز مؤلفاته فهي:–

١– نهاية التاريخ والإنسان الأخير (٣) .

٢– كتاب الثقة (٤).

٣- التصدع العظيم (٥) .
٤- كتاب نهاية الإنسان (عواقب الثورة البيوتكنولوجية) (٦) .
٥- كتاب بناء الدولة .
٦- كتاب أمريكا على مفترق الطرق (٧) .

ثانياً / بناء الدولة عند فرنسيس فوكوياما :

يبدو من المناسب في الحديث عن بناء الدولة أن يُقدم ملخص عن كتاب بناء الدولة لفوكوياما، لاسيما أن كتابه هذا يُسهم إلى حد بعيد بتوجيه إمكانيته النظرية ومطابقتها بالواقع العملي. إن كتاب فوكوياما (بناء الدولة) يقسم على ثلاثة أقسام، يضع في القسم الأول إطاراً تحليلياً لفهم الأبعاد المتعددة لطبيعة الدولة بصورة عامة، ويتوصل من خلاله إلى أن الغالبية العظمى من الدول النامية لا تعد دولا قوية بل أنها في الواقع دول ضعيفة جداً، أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول فيه أسباب ضعف الدولة عموماً، وأسباب استحالة وجود علم إدارة عام على وجه التحديد بالرغم من الجهود التي يبذلها الاقتصاديون، وفي القسم الثالث يتناول فيه الأبعاد العالمية لضعف الدولة، أي كيف يؤدي ضعف الدولة الى عدم الاستقرار ومن ثمَّ إلى تآكل مبدأ السيادة الوطنية في النظام العالمي المعاصر، وكيف تحتل قضايا الشرعية الديمقراطية على المستوى الدولي مكان الصدارة، وتهيمن على جملة الخلافات القائمة بين الولايات المتحدة وأوربا وبقية الدول المتقدمة في النظام العالمي. وبما ان لتحديد المفاهيم دوراً بالغاً في إيضاح الأفكار من حيث معناها والمدة الزمنية التي تظهر فيها، لهذا سيتم الوقوف على مفهوم بناء الدولة .

أ- مفهوم بناء الدولة :

يعود الاهتمام بمسألة بناء الدولة إلى بدايات الفكر البشري، بالرغم من أن مفهوم الدولة (Etat أوٍ state) (٨) لم يظهر في اللغات الغربية إلا في العصر الحديث، ذلك أن المجتمعات السياسية في العهد القديم وفي القرون الوسطى، كانت تدعى بأسماء تنم عن درجة تطورها الاجتماعي ومدلولها السياسي الذي كان يختلف عما تحتويه الدولة في يومنا هذا من قوانين ومؤسسات واتجاهات(٩)، ولقد أخذ هذا المفهوم –الدولة– عند فلاسفة السياسة(١٠) اهتماماً واسعاً ، فقد اتفقوا على أن الدولة هي قمة الهرم التي يصبو له البناء الاجتماعي الحديث، ومكنون طبيعتها في انفرادها بالسيادة على جميع أشكال التجمعات الأخرى (١١).

ومن أكثر الأسئلة التي تطرح في النقاشات الحالية هي ما الدولة على وجه الضبط؟ إذ يجادل أحد الباحثين مشيراً إلى أن صياغة شروط كافية لوجود الدولة مهمة صعبة ومربكة عموما عن تشكيل قائمة كاملة من الشروط الكافية لوجود الدولة، وهو يشير إلى شرطين ضروريين هما :- أولاً / إن الدولة تحتكر استخدام القوة، ثانياً / تؤمن الدولة حماية لكل من يقيم داخل حدودها، وهو يشير إلى هذين الشرطين على التوالي بعامل الاحتكار وعامل إعادة التوزيع، وقد يبدو أن هذين الجانبين من الدولة لا يتحققان مع الالتزام بحقوق الأفراد (١٢). ويؤيد الليبراليون فكرة حياد الدولة، إذ تنطلق الليبرالية من افتراض أن الدولة ليست هي الفاعل الأساس على المسرح العالمي، كما أن نمو العلاقات غير الوطنية يدل على أهمية الفاعلين غير الحكوميين مثل الشركات متعددة الجنسيات، والعدد الضخم من المؤسسات غير الوطنية، وتؤكد الليبرالية أيضا أهمية المنظمات الدولية التي تعتبرها فاعلين مستقلين وليست أجزاء من الدولة، كما أن الدولة إذا

كانت كياناً مؤلفاً من مؤسسات ومنظمات مختلفة، فأنها تكون ذات قدرة في العمل على المسرح العالمي (١٣) .

وهكذا فأن ما تعنيه كلمة دولة يعد أمرا شائكا ومربكا. أما مفهوم الدولة عند فوكوياما فأنه يقوم على أن ((الدولة مؤسسة إنسانية قديمة، يرجع عهدها إلى المجتمعات الزراعية الأولى التي نشأت في بلاد ما بين النهرين، قبل حوالي ستة آلاف عام، أما الدولة الحديثة التي ظهرت في أوربا والتي حشدت الجيوش الكبيرة وفرضت الضرائب، وامتلكت بيروقراطية مركزية استطاعت ممارسة سلطة السيادة على مناطق بأقاليم شاسعة، فدولة احدث عهدا، يرجع تاريخها إلى حقبة توطيد حكم الأنظمة الملكية الفرنسية والإسبانية والسويدية قبل أربعمائة أو خمسمائة عام))(١٤)، أما عن مفهوم بناء الدولة فأنه يبينه بقوله ((إن بناء الدولة يعني إيجاد مؤسسات حكومية وتقوية المؤسسات القائمة)) (١٥) .

ب- **الحرب (١٦) وبناء الدولة عند فوكوياما :**

يرسم أغلب الأفراد صورة عن الحرب، تتمثل في كونها سببا في خراب الأوطان، وما تعكسه من انهيار للبنى التحتية والبنى الفوقية، لكن البعض من له وجهة نظر مغايرة، ومنهم فوكوياما المتأثر بوجهتين إحداهما وجهة نظر فلسفية، والأخرى أمريكية من منطلق ديني .

يبين فوكوياما بأن للحرب دوراً مهماً في عملية بناء الدولة، إذ يقول ((قد أدت تصفية الاستعمار بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى انهماك البلدان النامية بشكل عام في عمليات بناء الدولة، التي كانت ناجحة في دول مثل الهند والصين، في حين لم تحدث إلا اسميا في أجزاء عديدة أخرى من أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط، كما أدى انهيار آخر إمبراطورية أوربية-وأعني بذلك الاتحاد

السوفيتي الأسبق- إلى الشروع بعمليات مماثلة لبناء الدولة قادت بدورها إلى نتائج متباينة وفي أحيان كثيرة موازية في اشكالياتها))(١٧)، و في موضع آخر يبين دور الحرب في بناء الولايات المتحدة الأمريكية ودول أخرى، قائلا : ((كانت الحروب ومتطلبات الأمن القومي مصادر بارزة لبناء الدولة في التاريخ الأمريكي، إذ شهدت الحرب الأهلية الأمريكية والحربان العالميتان، والحرب الباردة حدوث عمليات مكثفة لبناء الدولة الأمريكية، هناك بالتأكيد أمثلة واضحة لحدوث الشيء نفسه خارج العالم الغربي، كما في اليابان .....، أو كما في دخول نابليون إلى مصر، الذي أدى إلى جملة الإصلاحات التي قامت بها الدولة العثمانية في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر)) (١٨) .

ما يُلاحظ على فوكوياما هنا تشابه دعوته في تأكيده على ضرورة الحرب في تطوير المجتمعات مع أطروحته السابقة نهاية التاريخ والإنسان الأخير، مشيراً إلى ذلك بقوله((إن احتمال الحروب يولد دفعاً كبيراً بهدف عقلنة المجتمعات ومن أجل خلق بنى اجتماعية متماثلة بين الثقافات، فكل دولة تأمل في الحفاظ على استقلالها السياسي هي مضطرة لاعتماد تكنولوجيا أعدائها ومنافسيها))(١٩)، وفضلاً عما تعمله الحروب من سعي المجتمعات لتطورها التكنولوجي، فإنها كذلك بحسب رؤية فوكوياما تعمل على إعادة بناء الأنظمة الاجتماعية في الدول المهددة بالحرب ، يقول ((التهديد بالحرب يجبر الدول على إعادة بناء أنظمتها الاجتماعية وفق توجهات مسيطرة في إنتاج التكنولوجيا واستخدامها، فعلى الدول مثلاً أن تتمتع بحجم معين لتقف في وجه جيرانها ومنافسيها مما يخلق عوامل قوية تدفع للوحدة القومية)) (٢٠) .

ولو أُجريا مقاربة بين رؤية فوكوياما عن الحرب، وبين أفكار بعض

الفلاسفة(٢١)، فسنجد له في التراث الفلسفي من هو مقارب لرؤيته، ففي الفلسفة الحديثة نجد من هو داعٍ للسلام ونابذ للحرب مثل كانط عبر مشروعه الداعي فيه إلى السلام، وهناك من أعطى للحرب أهمية في تجديد النظام الداخلي للدولة مثل هيجل الذي يرى إن للحرب أهمية كبيرة، لما لها من مغزى، فبحسب رؤيته أن هذا المغزى متمثل بما تفرضه الحرب على الدولة من تغيير لنظامها الرتيب حتى لا تبقى ساكنة، وهي ليست علامة على كراهية إنسان لإنسان، وإنما هي شرط لصحة الشعوب من الناحية المعنوية مثلها مثل (الرياح) التي تحفظ مياه البحيرات حتى لا تأسن (٢٢)، فمثلما يحفظ هبوب الرياح البحر من التلوث الذي يتكون نتيجة لمدة طويلة من السكون فإن فساد الأمم قد يولد نتيجة سلام دائم وطويل(٢٣). هذه هي رؤية هيجل لظاهرة الحرب التي اتسمت بأنها تولي أهمية لهذه الظاهرة لما تسهم به من تقدم للبشرية ودليل على صحة الدول المتحاربة .

ولم يكتفِ الفكر الغربي برؤية هيجل للحرب، وإنما جاء بعده نيتشه وهايدغر اللذان عظما من شأن الحرب، إذ رأى نيتشه أن الحرب هي أداة لـ (إرادة القوة)، وأن من طبيعتها قلب كل شيء وتغييره، ورأى هايدغر أنها أحد أوجه القدرة على امتلاك الوجود (Dassein) والتصرف والتحكم به بما هو وجه التقنية البارز والمعبر عن إرادة العمل(٢٤) .

ومن الملاحظ أن للمواقف الأمريكية تجاه الحرب جذوراً دينية متمثلة بالاستناد إلى الكتب الدينية الرئيسة لديهم سواء الكتب المقدسة اليهودية أو المسيحية، ومن أبرز هذه الرؤى للحرب الحرب المقدسة والحرب العادلة.

تعد الحرب المقدسة أو الحرب الصليبية أحد المظاهر المهمة للمواقف في الولايات المتحدة تجاه الحرب والتي تعني أنها حرب مقدسة يشنها الصالحون

نيابة عن الرب ضد الكفار والمهرطقين سياسيا أو دينيا (٢٥)، أما الحرب العادلة فهي الأنموذج السائد للحرب والذي يشكل مواقف الناس، إذ مادام إعلان الحرب يكون من جانب السلطة الصحيحة وما دامت أسبابها عادلة، فيجوز للأفراد المشاركة فيها ويجوز إجبارهم على ذلك إذا استدعي الأمر(٢٦) .

هذا الموقف من الحرب لدى المنتمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية يوجد له تطبيقات عديدة على أرض الواقع منها ما عرف بالحرب على الإرهاب وتمثل بالحرب على أفغانستان أو الحرب على العراق، وأن رؤية فوكوياما تعد امتداداً لرؤية بعض الفلاسفة الذين يرون ضرورة للحرب في عملية تقدم الأمم، وكذلك هي انعكاس لما يمثله الرأي الأمريكي من تأييده للحرب المقدسة أو الحرب العادلة .

ج- أسباب الدعوة لبناء الدولة عند فوكوياما:

أغلب الظواهر التي تحدث لابد أن يكون لها مجالها السياسي سواء أكانت ظواهر اقتصادية أم اجتماعية، ويبين فوكوياما بأن مسألة بناء الدولة تشكل اليوم أحد أهم القضايا للمجتمع العالمي، لأن الدول الضعيفة أو الفاشلة تبقى مصدرا للعديد من أكثر مشاكل العالم خطورة مثل الفقر ومرض العوز المناعي المكتسب والمخدرات والإرهاب (٢٧). ويمكن توضيح أسباب دعوة فوكوياما إلى بناء الدولة بالنقاط الآتية :-

١- إن نهاية الحرب الباردة تركت وراءها حزاما من الدول الضعيفة والفاشلة، يمتد من البلقان عبر القفقاص إلى الشرق الأوسط وآسيا الجنوبية والوسطى(٢٨).

٢- انهيار أو ضعف الدولة في التسعينيات- انهيار الاتحاد السوفيتي- أدى

إلى حدوث كوارث إنسانية كبيرة وانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان في الصومال وكمبوديا والبوسنة وكوسوفو وتيمور الشرقية (٢٩).

٣- يمكن القول إن الدولة الضعيفة أو الفاشلة منذ نهاية الحرب الباردة أصبحت المشكلة الأكثر أهمية في النظام العالمي الجديد، لأن هذه الدول ترتكب انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان وتهاجم جيرانها وتدفع بموجات كثيفة من الهجرة خارج أراضيها، وتتسبب في كوارث إنسانية كبيرة ومنذ أحداث الحادي عشر من أيلول أصبح واضحا أنها تأوي إرهابيين دوليين يمكنهم إلحاق ضرر بالغ بالولايات المتحدة وغيرها من الدول المتقدمة(٣٠) .

٤- الخطر المزدوج لإرهاب المتطرفين الإسلاميين وتوفر أسلحة دمار شامل أضاف بعداً أمنياً رئيساً لأعباء المشاكل الناجمة عن ضعف أنظمة الحكم في العالم، وهذا ما دفع الولايات المتحدة إلى الاضطلاع بمسؤوليات أساسية جديدة لبناء الدولة في كل من أفغانستان والعراق بعد انتهاء العمليات العسكرية، وهكذا برزت فجأة على رأس أولويات الأجندة الدولية إمكانية دعم قدرات ومؤسسات الدولة المفقودة او إعادة تشكيلها من الصفر ويرجح أن يبقى حل هذه المشكلة شرطاً أساسياً لتوفر الأمن في أجزاء مهمة من العالم، لأن ضعف الدولة في بلد معين يعد قضية وطنية ودولية من الطراز الأول(٣١).

٥- إن الجمع بين التطرف الإسلامي وأسلحة الدمار الشامل أصبحت مشكلة بالغة الأهمية وشديدة التأثير على الولايات المتحدة وبقية الدول القوية، لذلك كانت أشكال الردع ، كما اقتضت الاعتبارات الأمنية الوصول إلى داخل تلك الدول وتغير أنظمتها لمنع ظهور أية تهديدات مستقبلية(٣٢) .

ومما تقدم يتضح أن فوكوياما يتماهى مع الرؤية الأمريكية في مسألة تبرير التدخل العسكري تحت عنوان تدخل لدواع إنسانية مثلما حصل في البوسنة أو الصومال في تسعينيات القرن الماضي. فما يلاحظ فيه أن الكتابات قد كثرت في التسعينيات من القرن الماضي عن موضوع التدخل الإنساني، ويعبر عن التدخل أحد الباحثين بقوله ((كلمة تدخل تصف ممارسة سلطة عامة من جانب دولة على أراضي دولة أخرى من دون موافقة هذه الأخيرة، وهكذا يصبح التدخل أكثر من مجرد تدخل في مجال الشئون الداخلية لدولة أخرى، ويلتقط مصطلح التدخل الدكتاتوري العوامل الإكراهية في التدخل بدقة أكبر، ويعني التدخل الإنساني عمل إكراهي تقوم به دولة أو مجموعة من الدول على أراضي دولة أخرى من دون موافقة هذه الأخيرة، وهو عمل يتم على أسس إنسانية أو بهدف إعادة إرساء الحكم المؤسسي، وعادة ما يتضمن هذا العمل القوة العسكرية ولكن ليس بالضرورة)) (٣٣) .

وفي مسألة تهديد الإرهاب للولايات المتحدة وللدول المتقدمة فأن الحقيقة هنا تبين وجود تضاد أساسي يوضح أن العولمة المنتصرة تخوض صراعاً مع ذاتها، وهذا ما يقلق كل نظام عالمي وكل سيطرة هيمنية، فلو كان الإسلام مسيطرا على العالم لنشط الذي يقاومه، فالإرهاب لا أخلاقي، الإرهاب كالفيروس ماثل في كل مكان، هناك حقن عالمي متواصل للإرهاب الذي هو كالظل الملازم لكل نظام سيطرة، مهيأ أينما كان لأن يصحو بوصفه عاملا مزدوجا فلم يعد هناك خط فاصل كفيل بالإحاطة به، انه موجود في تكوين هذه الثقافة التي تحاربه، والحقد الذي يجعل على المستوى العالمي المستغلين والمتخلفين في مواجهة العالم الغربي(٣٤).

د- آليات بناء الدولة عند فوكوياما:

اتبع فوكوياما وسائل مناسبة في وصوله إلى الغاية المتوخاة ، وهي تتألف من مراحل محكمة في تشعباتها، فمن أهم الأمور التي تساعد على بناء الدولة بحسب رؤيته هي الحاجة إلى مؤسسات، إذ إنه في معظم الحالات التي نجّحت فيها عمليات بناء الدولة والإصلاح المؤسساتي حينما استطاع المجتمع توليد طلب محلي على المؤسسات، ثم أوجدها بالكامل أما عن طريق استيرادها من الخارج، أو بتكييف النماذج الأجنبية ومواءمتها مع الشروط المحلية والأمثلة على ذلك كثيرة أبرزها أوربا في بدايات العصر الحديث، والولايات المتحدة بعد الثورة الأميركية، وألمانيا واليابان وتركيا في القرن التاسع عشر، وكوريا الجنوبية وتايوان في السبعينيات والثمانينيات (٣٥).

وهنا يشير فوكوياما إلى ضرورة التحديث الذي يعني القبول بالتكنولوجيا والتطور العلمي الذي ينجزه الغرب، أما في مجال بناء المؤسسة الاقتصادية فأنه يشير إلى أن القدرة المؤسساتية تبقى القضية المركزية التي يفترض فهمها، ويمكن البدء بها من جانب العرض بالسؤال الآتي : ما المؤسسات الحيوية للتطوير الاقتصادي ؟ وكيف ينبغي بناؤها؟ ويجب عن ذلك بأن هناك أربعة جوانب متداخلة للدولة يذكرها فوكوياما (٣٦):-

١- التصميم التنظيمي والإداري .
٢- تصميم النظام السياسي .
٣- أساس الشرعية .
٤- العوامل الثقافية والبنيوية .

ويوضح هذه الجوانب بقوله ((يقابل المستوى الأول من التصميم التنظيمي والإدارة حيز الدراسات الإدارية (ومعاهد إدارة الأعمال) في القطاع الخاص، وميدان الإدارة العامة في القطاع الحكومي، ويرتبط الجانب الثاني من طبيعة الدولة بالتصميم المؤسساتي على مستوى الدولة ككل، لا على مستوى الهيئات الفردية التي تشكله)) (٣٧)، ((يرتبط مظهر الدولة الثالث عن قرب بمسألة تصميم الجسم المؤسساتي، ولكنه في الوقت نفسه يتجاوز أو يتضمن بعداً معيارياً للجهاز برمته، أي لا يجب أن تعمل مؤسسات الدولة معا كما ينبغي بالمفهوم الإداري، بل يجب أيضا أن ينظر اليها كمؤسسات شرعية من قبل المجتمع التحتي))(٣٨)، ((يرتبط المظهر الرابع من مظاهر قدرة الدولة المؤسساتية بجملة المعايير والقيم والثقافة و الثقافة السائدة، ويبقى مظهر – تحت – سياسي، أو أقل مباشرة في علاقته بالسياسة ويندرج القسم الأكبر من النقاش الدائر مؤخرا حول هذه القضايا في مجتمع التطوير تحت عنوان رأس المال الاجتماعي، حيث تؤثر العادات و القيم و الثقافة في المؤسسات بالدرجة الأولى من جهة العرض، وذلك يمكن من أعاقة قيام أنماط معينة من المؤسسات مع أنها تؤثر أيضا من جهة الطلب وذلك بتوليد حاجات مؤسساتية معينة او خلق مؤسسات أخرى)) (٣٩) .

وكأن فوكوياما يدعو هنا الى التغريب الذي يعني القبول بالقيم الغربية المتمثلة، وذلك لأن الغرب هو المسؤول عن العرض وليس عن الطلب، وهذه القيم مثل: الديمقراطية، والحرية، والمساواة، وحقوق الإنسان....، وغيرها من القيم الغربية الأخرى .

ثالثاً / فرنسيس فوكوياما ودولة العراق ما بعد صدام:

إن عملية بناء الدولة في العراق لم تكن مثلما هي عليه في البلدان الأخرى التي جرت فيها أحداث متشابهة لما جرى في العراق بعد سقوط صدام، فعلى الرغم من اشتراكها بعامل مهم، وهو أن التغيير قد حدث بفعل عامل خارجي متمثل بقوات أجنبية عملت على إعادة بناء الدولة مثلما حدث في ألمانيا و اليابان، ربما يرجع ذلك الى الدور غير الجدي من القوات الأجنبية – الأمريكية على الخصوص– ، وأمور داخلية متعلقة بالتراكمات السلبية لبناء الدولة العراقية، وأخرى معاصرة متعلقة بطبيعة الإدارة والحكم التي أبرزها التحديث واللامركزية .

أ- بناء دولة العراق (مدخل عام):-

إن دولة العراق الحديثة التي شكلتها القوى الاستعمارية بعد هزيمة الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى، ما هي إلا الحلقة الأخيرة في ضمن سلسلة طويلة من البنى السياسية التي أقيمت على ضفاف نهري دجلة والفرات والمناطق المحيطة بهما، اذ يمتلك العراق أقدم تراث موجود لدى أية دولة في العالم، فهو موطن بعض الأنظمة المبكرة في النشاط الزراعي وتزخر مدنه ومناطقه الريفية على السواء بآثار العديد من الحضارات القديمة، وفي مرحلة لاحقة أصبح العراق مقراً للخلافة العباسية التي كانت تعد أوج الحضارة الإسلامية واشتهر بتطوره وتنوعه قبل أن يصبح جزءا من الإمبراطورية العثمانية شاسعة الأطراف(٤٠).

إذا أُريد البحث في ذاكرة تكوين الدولة العراقية فأنه يُلاحظ أنها متكونة من ثلاثة عناصر:-

الأولى : الحضارات القديمة لبلاد ما بين النهرين، والثانية الفتوحات والتراث العربي الإسلامي، والثالثة الإمبراطورية العثمانية، وتتباين الآليات التي أثرت فيها تلك العناصر على العراق الحديث، إذ كانت التأثيرات الأكثر مباشرة هي تلك التي ارتبطت بالإسلام وبالإمبراطورية العثمانية، والتي شكلت العراق الحديث وأرست هياكله ولا يزال التراث العربي الإسلامي يشكل المعالم الاجتماعية ويؤثر فيها أكثر من تأثير أي عامل آخر، لا سيما أن العادات والتقاليد ظلت هي القوة الأكثر تأثيرا من بين القوى التي تحكم النشاط والتفاعل الاجتماعي، وقد أصبحت الإمبراطورية العثمانية الآن جزءا من التاريخ لكنها كانت مسؤولة على مدى خمسة قرون عن تنظيم البنية السياسية للعراق الحديث، بما ترك بصمة لا تمحى على بنيته الاجتماعية والسياسية بينما لم يكن للحضارات القديمة التأثير نفسه الذي كان للإسلام أو للإمبراطورية العثمانية، فأنها ما برحت تمثل قوة مؤثرة في وضع ركائز الدولة (٤١) .

وكان البريطانيون هم ثاني أكبر قوة أثرت في تشكيل العراق الحديث، اذ لم يسبقهم في ذلك سوى العثمانيين، حيث هم من ابتكر دولة العراق المعاصر ١٩٢١، ورسخوا تفاصيل الحكومة الحديثة، وإلى جانب إرساء المؤسسات من خلال رسم البريطانيين الحدود الجغرافية للدولة العراقية(٤٢) .

ب- دولة العراق ما بعد صدام وموقف فوكوياما من الحرب الأمريكية على العراق:-

إن الدولة أية دولة لا بد لها من اعتراف قانوني وسند خارجي من النظام العالمي القائم على شرعية الدولة، أما بالنسبة للعراق فقد انقلب الوضع فيه رأسا على عقب وتحول بذلك لبيئة معبرة بكل معنى الكلمة عن الانموذج التوتاليتاري،

وبذلك أثبتت تجربة حكم العسكر والفكر التوتاليتاري فشلها في العراق عام ٢٠٠٣، بعد أكثر من خمسة وثلاثين عاما من الأخطاء والتداعيات التي سجلت آخر صفحاتها في التاسع من نيسان– ٢٠٠٣.

يتعلق هذا الموضوع بالكيفية التي تتم بها تغيير الأنظمة الاستبدادية بعد إزالتها على يد قوى خارجية لتحل محلها أنظمة ديمقراطية يتأثر تصميمها بميول المحتلين، بل ويتحدد من قبلهم، فإذا كانت لهم جدية مصاحبة لإستراتيجية واضحة فبالتأكيد النتائج تكون واضحة أما إذا كانت خططهم مربكة فذلك سينعكس على طبيعة عملية البناء .

وإذا أمعنا النظر في تاريخ العراق السياسي والفكر الذي ارتكز عليه نجد وجهاً آخر من أوجه التشابه بين محاولة بناء الدولة العراقية في القرن الحادي والعشرين والحدث الأصلي في القرن العشرين الذي تم فيه بناء الدولة العراقية عام ١٩٢١، كما يمكن اعتبار التحركات الأمريكية انعكاسا للصراع القائم في واشنطن بين الأجنحة المختلفة في ضمن الإدارة الأمريكية وخصوصا بين وزارة الدفاع ووزارة الخارجية، ويمكن اعتبار إن السياسة البريطانية شهدت الأمر نفسه(٤٣).

تعد الولايات المتحدة الأمريكية المسؤول الأول عن كل ما جرى بعد عام ٢٠٠٣، وكل ما سيجري، وذلك لأنها أخذت على عاتقها عملية التغيير من اجل خلق إنموذج للديمقراطية يحتذى به في الشرق الأوسط، وبناء دولة معاصرة على غرار ما فعلته في ألمانيا واليابان .

يحاول فوكوياما توضيح مسألة الغزو الأمريكي للعراق من خلال إشارته لعدة أمور أبرزها، اضطلاع الولايات المتحدة الأمريكية في شهر آذار مارس بمشروع أكثر طموحا للإطاحة بنظام البعث وتحويل العراق إلى دولة ديمقراطية فاعلة(٤٤)، لكن المشكلة التي تواجهها الولايات المتحدة تكمن في أن أنظمة الحكم الفاشلة التي تشكل تهديدات أمنية لا تحتمل، يستخدم فيها الإرهابيون أسلحة دمار شامل، أو تدخلات لحماية حقوق الإنسان في دولة ما، فيزعمون أن الحالة الأولى فقط تشكل أرضية شرعية لانتهاك مبدأ السيادة فمثل هذا التمييز يبقى مثار جدل، لأن الحكومات التي ترتكب انتهاكات لحقوق الإنسان غالبا ما تهدد جيرانها، أو تكون ضعيفة إلى درجة لا تستطيع منع هذه التهديدات والانتهاكات(٤٥) .

ويتبين من خلال طرح فوكوياما السابق أن الولايات المتحدة الأمريكية ادعت ثلاثة أسباب لاحتلال أية دولة والتي تكون منطبقة إلى حد ما على ما جرى ذكره بخصوص العراق وتغيير نظامه السياسي وحددتها في الأمور الآتية (٤٦) :-

أ- امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل .

ب-وجود علاقة بين نظام صدام حسين وتنظيم القاعدة .

ت-إسقاط النظام القائم واستبداله بنظام ديمقراطي .

ولعل أبرز الحجج التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية على غزو العراق هي الأمر الأول المتمثل بـ (امتلاك نظام صدام لأسلحة الدمار الشامل). ويتبين أن الغزو الأمريكي للعراق كان غايته إقامة دولة ديمقراطية، وكذلك التخلص من نظام صدام وأسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها بحسب ما أشارت إلى ذلك تقاريرهم، وكل هذه العملية كانت لحماية أمنها القومي من الاعتداءات

الخارجية التي تسببها الأنظمة الضعيفة التي ربما يكون لها اتصال مع الإرهابيين، وتعمل على توفير ملاذ آمن لهم، ولم يكن تدخلهم من أجل حماية حقوق الإنسان، وحماية الشعب وما تعرض له على يد نظام صدام .

لم يكن فوكوياما الممثل الوحيد للرؤية الأمريكية، إذ يمتلك المشهد الأمريكي رؤيتين على الأقل عن الحرب على العراق، رؤية تيار المحافظين الجدد (٤٧)، ورؤية أخرى لعل ابرز من يمثلها هو موقف بريجنسكي الذي يبدأ فيه بنقده للحرب على العراق من زاوية تاريخية اذ يبين أن العصر لم يعد مناسبا للمغامرات العسكرية الاستعمارية لأننا- بحسب تعبيره- لسنا في عصر الاستعمار، وعلينا أن نستوعب ذلك، ولم يعد بالإمكان الحديث عن (واجبات الرجل الأبيض) في نقل الحضارة إلى الشعوب الأخرى (٤٨).

وربما كانت نقطة تحول فوكوياما عن المحافظين الجدد هي الحرب على العراق وهو في ذلك يقول ((وخلافاً لآخرين عديدين من المحافظين الجدد لم أكن قط مقتنعاً بالأساس المنطقي لحرب العراق وبدأت صقري الموقف نوعاً ما بشأن العراق، وفي عام ١٩٩٨ وقعت رسالة رعاها المشروع من أجل قرن أمريكي جديد تحث إدارة كلينتون على أن تتخذ خطاً أصلب ضد بغداد بعد أن أعاق صدام حسين مفتشي الأمم المتحدة عن الأسلحة، ومع ذلك لم يكن الغزو الأمريكي للعراق آنذاك مطروحاً على وجه اليقين ولن يكون محتملاً حتى جاءت حوادث الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١، و قررت أخيراً أن الحرب كانت بلا معنى))(٤٩).

وفي موضع آخر وخصوصا في كتابه بناء الدولة نجد موقفاً مرتبكاً لفوكوياما بين تأييد الحرب وعدم تأييدها فهو يقول ((ينبغي أن لا تفسر هذه النقطة على أنها دفاع عن حرب إدارة بوش في العراق، فالحجج المؤيدة والمناقضة في تلك القضية جد معقدة، لم تستكشف الإدارة الأمريكية شكلا ملائما إمكانات ردع التهديد الأمني الحقيقي القادم من بغداد دون الحاجة الى الغزو المباشر من جهة، ومن جهة أخرى خلطت بين التهديد الذي شكله العراق وبين التهديد الإرهابي بطرق لم تعكس بدقة مصالح واهتمامات الفريقين المختلفة، والنقطة التي يجب توضيحها في هذا السياق، حقيقة أن وجود أسلحة دمار شامل بأيدي لاعبين خارج نطاق الدولة الشرعية يشكل نوعا جديدا وبالغ الخطورة من المشاكل الأمنية ويبرر بالتأكيد تقريبا تدخل الدول المعنية التي تتعرض للتهديد بتلك الطريقة)) (٥٠)، و يقول أيضاً((إن الردع لا ينفع في حالات تكون فيها احتمالات المبادرة باستخدام أسلحة الدمار الشامل معتبرة ومبدأ السيادة بحد ذاته لا يكفي أبدا لحماية دولة تنتشر على هذا النوع من التهديد وتمنح مرتكبيه ملاذا آمنا داخل حدودها وهكذا تقودنا معالجة مشكلة التدخل لأسباب أمنية تحديدا إلى النتيجة نفسها في التدخل الإنساني ضرورة الوصول إلى داخل تلك الدول والاستيلاء على حكمها لإزالة مثل هذه التهديدات ومنع ظهورها ثانية في المستقبل)) (٥١) .

وفضلا عن موقف بريجنسكي وتيار المحافظين الجدد، هناك فؤاد عجمي(٥٢) الفصل الذي لايمكن تركه في قصة المغامرة الأمريكية في العراق، ففي فترة تسارع الأحداث التي سبقت الحرب كان واحدا من المفكرين المناصرين لها والأشد تأثيرا، فلطالما ظهر في اللقاءات التلفزيونية والمطبوعات بل أن نائب

الرئيس تشيني قد استشهد بعجمي في خطابه في الاجتماع السنوي للمحاربين القدامى للحث على الحرب (٥٣) .

إن موقف بريجنسكي أو موقف تيار المحافظين الجدد أو موقف فؤاد عجمي كله موقف واضح من الحرب سواء أكان بالرفض أم التأييد، لكن مع فوكوياما الأمر مختلف فهو في الوقت الذي يكون فيه مؤيدا للحرب يرفضها في وقت آخر، مما يوحي على أن موقفه مرتبك وغير واضح .

ث- رؤية فوكوياما للدور الأمريكي في عملية بناء دولة العراق :-

يبين فوكوياما صعوبة تحمل الولايات المتحدة مسئولية بناء العراق بقوله ((إن التحدي الذي يفرضه بناء الدولة على المدى البعيد يكمن في قدرة الولايات المتحدة على الالتزام به لأمد طويل، فلطالما واجهت الولايات المتحدة مشاكل جمة في تركيز انتباهها لمدة كافية على بناء الدولة)) (٥٤)، مبيناً سبب ذلك بقوله ((درجت العادة أن يتراخى اهتمام رجالات الكونغرس والرأي العام الأمريكي بالأزمة بعد مدة أولية من النشاط السياسي المحموم وسرعان ما تفقد وسائل الإعلام اهتمامها بالحدث وتركيزها عليه ومن ثم تتكاثر الدعوات إلى خفض مستويات الإنفاق وتقليص عدد الإصابات في صفوف القوات الأميركية)) (٥٥). لكن الحقيقة الواقعة تتمثل في أن مهمة بناء الدولة على المدى البعيد بدأت في العراق منذ كتابة دستور جديد والتي لا تشكل كما يرى فوكوياما إلا جزءا صغيرا من هذه العملية الطويلة والمعقدة(٥٦).

ويذكر فوكوياما أن إعادة السيادة الوطنية للعراق وتفكيك سلطة الائتلاف المؤقتة واستبدال سفارة نظامية بها بالرغم من كونها اكبر سفارة أميركية في العالم ترأسها في البداية السفير نغروبونتي تشكل كلها اعترافا ضمنيا من إدارة بوش بارتكابها أخطاء جسيمة في مقاربتها الأولية لإعادة أعمار العراق(٥٧).

وقد شكلت الانتخابات نجاحا واضحا للسياسة الأميركية في العراق لا سيما مع إقبال الناخبين الكثيف في المناطق الشيعية والكردية، وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من أهل السنة كانوا عرضة للخوف والترهيب لدرجة منعهم من المشاركة في التصويت فللمرة الأولى في تاريخ العراق استطاع أكبر مجتمعين محليين انتخاب قادتهم الشرعيين (٥٨) .

ويحاول فوكوياما أن يجري مقارنة بين الدور الأمريكي في عملية بناء دولة أفغانستان وبناء دولة العراق، بقوله ((إن فرص نجاح التجربة الأفغانية تبدو أوفر حظا من نظيرتها العراقية على المدى البعيد ويرجع السبب في ذلك جزئيا إلى المقاربة خفيفة الوطء التي تم إتباعها منذ البداية والتي منحت الأفغان قدرا كبير من التحكم بشئونهم وامتلاك مقدراتهم بأنفسهم، أضف إلى ذلك أنها مقاربة اقتصادية تستهلك كماً أقل من موارد دافع الضرائب الأميركي، ويمكن بالتالي تبنيها والدفاع عنها محلياً على المدى الطويل)) (٥٩).

وفي المجال السياسي فأن فوكوياما يقول ((الولايات المتحدة لم تعد أبدا بتحويل أفغانستان إلى ديمقراطية نموذجية بل كان الهدف على الدوام إنهاء دور تلك الدول كملجأ للإرهابيين وتحقيق قدر من الاستقرار للشعب الأفغاني، أما في العراق حيث الأهداف السياسية أكثر طموحا ومقاربة الحكم أشد وطأة بكثير فقبل

بداية الحرب، أعلن الرئيس بوش صراحة أن العراق سيتحول إلى دولة ديمقراطية، وأن الحرب ذاتها إن هي إلا المرحلة الأولى في خطة أوسع لتغيير سياسات الشرق الأوسط الكبير)) (٦٠) .

يتبين من خلال ما ذكره فوكوياما تأكيده أن الولايات المتحدة هي المسؤولة عن عملية بناء دولة العراق وان ما يجري هو نتيجة تخبطها، وبالرغم من المشروع الذي جاءت به الولايات المتحدة الأميركية إلى العراق وتخليصه من أعتى نظم الدكتاتورية لكنها لم تفِ بما وعدت به ، وربما تراجع اهتمامها بالعراق بسبب ما يتعلق الأمر بسلامة جنودها بينما كان الهدف هو إقامة دولة ديمقراطية تكون إنموذجا يحتذى به بين دول المنطقة .

ويمكن إرجاع أسباب التخبط الأمريكي في عملية بناء دولة العراق إلى ما يأتي:-

١- ولادة معارضة ومقاومة للغزو لم تكن في حساباتها السياسية نتيجة لاضطهاد الغالبية الشيعية والكُرد من صدام، مما أوحى لها أن هؤلاء لن يفكروا بتشكيل مقاومة لجنودها في حين أن تاريخ الشعوب يؤكد أن المقاومة ردة فعل طبيعية للاحتلال.

٢- كانت القوة مفرطة من قبل الجيش الأمريكي على ارض الواقع وداخل المدن، بينما الأمور التي تشاع هي محاولة إقامة الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان .

٣- عدم امتلاكهم رؤية حقيقية عن طبيعة المجتمع العراقي وكيفية التعامل معه، وربما يعود سبب ذلك إلى اعتمادهم على دراسات لباحثين يجهلون طبيعة المجتمع العراقي.

٤- لم توفِ الولايات المتحدة بكل ما أعلنته من وعود عند الغزو، الأمر الذي ولد تساؤلات ومقارنات بين حقيقتين ما قبل الغزو وما بعده، الأمر الذي زاد من الهوة بين الوجود الأمريكي ومقاومته .

٥- إن الدور الأمريكي مرهون بالرأي العام الأمريكي، ولم يكن له بعد إستراتيجي وخطوات واضحة، فمتى ما ضغط الكونغرس على مسألة ما تخص العراق فسيكون لها تنفيذ، فضلا عن أن الرأي الشعبي بدأ يتناسى المسؤولية تجاه العراق بقدر ما يهمه عودة جنوده إلى عوائلهم سالمين .

د- توظيف رؤية فوكوياما لبناء الدولة على العراق :-

يمكن الإفادة مما ذكره فوكوياما عن آلية بناء الدولة الضعيفة عموما، وما يمكن تطبيقه على الوضع العراقي، فبالرغم من أن العراق ربما قد يكون تجاوز بعض النقاط التي أشار اليها فوكوياما فيما يتعلق بالأطوار، لكنه ما زال يعاني من مسألة التحديث ومشكلة اللامركزية وتضارب الآراء حولها والتي لا تعد المسائل والمشاكل الوحيدة التي تهم العراقيين فهناك الكثير غيرها، لكن الاهتمام بهاتين المسألتين حصل لاهتمام فوكوياما بذلك، لذا ستكون هناك محاولة للإفادة من رؤية فوكوياما لهذه المسائل ومقاربتها مع الشأن العراقي .

يشير فوكوياما إلى أنه عند معالجة الدولة الضعيفة أو المنهارة يجب العمل بثلاثة أطوار :-

الطور الأول / يتعلق بما بات يعرف اليوم باسم إعادة الأعمار في مرحلة ما بعد الحرب، وينطبق على دول تخرج لتوها من الحرب، إذا انهارت فيها سلطة الدولة تماما وكانت بحاجة إلى عملية إعادة بناء من القاعدة إلى القمة في هذه الحالة تنحصر مهام القوى الأجنبية على المدى القصير في توفير الاستقرار عبر ضخ المزيد من القوى الأمنية، ورجال الشرطة والمساعدات الإنسانية العاجلة والمساعدات التقنية لإصلاح المرافق العامة وإعادة خدمات الماء والكهرباء والنظام المصرفي ودفع الرواتب وما الى ذلك(٦١) .

الطور الثاني / يتركز على إقامة مؤسسات حكومية قادرة على البقاء والاكتفاء الذاتي، حتى في حال انسحاب قوى التدخل الخارجية، بالطبع يبقى انجاز هذا التطور أكثر صعوبة من سابقه لكنه حيوي بالنسبة للقوى الأجنبية إن شاءت يوما الخروج بشرف من الدولة المعنية(٦٢). الطور الثالث / وهنا يتداخل عمل هذا الطور مع الطور الثاني إلى درجة معتبرة إذ يرتبط بتقوية الدولة الضعيفة التي لا تزال سلطة الدولة فيها قائمة ووطيدة إلى حد معقول لكنها غير قادرة على الاضطلاع ببعض الوظائف الضرورية مثل حماية حقوق الملكية أو توفير التعليم الابتدائي الأساس (٦٣) .

لعل الطور الأول قد تجاوزه العراق، لكن تبقى مسألة الطور الثاني محل بحث، فبعض المؤسسات قد تمكنت من إعادة هيكلية بنائها، لكن هناك مؤسسات الموقف من جاهزيتها غير واضح، فبعض المختصين يشيرون إلى

أنها بحاجة إلى الدعم لتؤدي عملها، والبعض الآخر يشير إلى جاهزيتها، وفضلا عن هذه الأطوار التي ذكرها فوكوياما لبناء الدولة المنهارة، فأنه تبقى مسألة التحديث واللامركزية من الأمور المهمة التي يفترض الاهتمام بها في عملية بناء دولة العراق .

ومن الأمور المتداولة أن الطلب على المؤسسات لا يتأتى إلا جراء صدمة خارجية شديدة، كأزمة مالية أو فترة كساد اقتصادي أو تضخم استثنائي أو ثورة داخلية أو حرب (٦٤)، ولكن مع دول العالم الثالث لا تنطبق مقولة فوكوياما حول علاقة الحرب وبناء الدولة إذ يلاحظ أن مآسي الحروب والاستعمار خاصة وان كل دول العالم الثالث تشكلت ملامحها السياسية بعد فض النزاع مع المحتل الأجنبي (التصفية الاستعمارية)، مما يعني أن الاستعمار ترك مخلفات من الصعب استيعابها من طرف سلطات ما بعد الاستعمار، اذ يعتبر الصراع على السلطة إلى اليوم أهم عائق تعثرت أمامه جهود بناء الدولة وتحديث الآليات، فالسلطة في أغلب الأحيان كانت تحت تأثير مباشر أو غير مباشر للقوى العسكرية بحكم شرعية الحرب (٦٥).

وفي معظم الحالات التي تخص عملية بناء الدولة في دول العالم الثالث ينطبق عليها ما ذُكر، وذلك لأن نجاح عمليات بناء الدولة والإصلاح المؤسساتي مرهون باستطاعة المجتمع على توليد طلب محلي على المؤسسات ثم أوجدها بالكامل، أما عن طريق استيرادها من الخارج، أو بتكييف النماذج الأجنبية وموائمتها مع الشروط المحلية، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها أوربا في بدايات العصر الحديث، والولايات المتحدة بعد الثورة الأمريكية، وألمانيا واليابان وتركيا وكوريا الجنوبية وتايوان في السبعينيات والثمانينات (٦٦) .

إن الطلب على المؤسسات بات يعرف اليوم بالتحديث الذي يتضمن التصنيع، المدنية، تزايد معدلات القراءة والكتابة، التعليم، الثروة والتعبئة الاجتماعية وبُنى وظيفية أكثر تعقيدا وتنوعا، فالتحديث عملية ثورية يمكن مقارنته فقط بالتغير أو التحول من المجتمعات البدائية إلى المتحضرة، أي ظهور الحضارة في صيغة المفرد، والتي بدأت في أحواض دجلة والفرات، والنيل، والهند قبل حوالي ٥٠٠٠ ق.م (٦٧). إلا أن توسع الغرب أدى إلى دعم كل من التحديث والتمدن على النمط الغربي في المجتمعات الغربية، وأن الزعماء السياسيين والمفكرين لهذه المجتمعات اختلفت استجاباتهم أو ردود فعلهم لتأثير الغرب بطريقة أو أكثر من ثلاثة طرق: أما رفض كل من التحديث والتمدن على النمط الغربي، أو احتضان أو قبول كليهما أو قبول الأول ورفض الثاني(٦٨) .

أما بخصوص إطروحة (التحديث يساوي التغريب) والتي يعتبر مؤيدوها أن التحديث هو السبيل لكي تصبح الثقافة الغربية الثقافة الكونية للعالم، وذلك عبر تحديث مختلف المجتمعات، فهي بحسب أحد الباحثين مغلوطة وخاطئة، لأن التحديث الاقتصادي لا ينتج التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس يؤدي بها إلى مزيد من التمسك بثقافتها الأصلية فالتحديث والنمو الاقتصادي لا يتطلبان ولا ينتجان التغريب الثقافي وانما الاعتزاز بالثقافات الأصلية(٦٩).

فلو أُخذت هذه المسألة وأُجري لها مقاربة مع الشأن العراقي فأنه سيتضح أن عملية بنائه مرهونة بتوليد طلب محلي على المؤسسات المتمثلة بالتعليم الحديث المتطور، ونظام صحي وصناعي، وزراعي.... الخ، من الجوانب

الأخرى التي تخص المؤسسات، فتوليد الطلب غير مرهون بالوجود الأمريكي وإنما بالطلب المحلي، الذي يهدف إلى بناء دولة مواكبة للعصر محافظة على قيمها الإسلامية والشرقية، خصوصا أن العراق بلد يمتلك قيماً إسلامية لا تعارض التقنية والتكنولوجيا الغربية .

أما المسألة الأخرى التي تشغل الساحة العراقية فهي مسألة الحكم اللامركزي، وبالعودة إلى فوكوياما فأنه يناقش ذلك، بإشارته إلى أنه منذ الثمانينيات يشهد مجتمع التطوير السياسي ضغطا هائلا من الداخل باتجاه لامركزية السلطة السياسية لمصلحة حكومة الولاية والحكومة المحلية(٧٠). فاللامركزية تتعلق بالنظام السياسي وبالتنظيم الإداري، وتقسيم صلاحيات السلطات الحاكمة، وتنظيم العلاقات فيما بينها، لتمنع تغلب طرف على طرف آخر، فحصر قرارات الدولة الفدرالية المركزية بالقمة، وتترك الأمور المحلية للسلطات الإقليمية، والسلطات المحلية بدورها لا تخرج عن نطاق صلاحيتها، فهي لا تشرع للقضايا التي تتعلق بالدولة المركزية على الرغم من أنها تمتلك في المؤسسات الصلاحيات في القرارات المركزية والمصيرية (٧١)، وتأتي السياسة والعلاقات الخارجية في ضمن نطاق صلاحيات الحكومة المركزية في معظم البلدان الفدرالية إلا أن العولمة أدت إلى ظهور فرص جديدة أمام الولايات المكونة للعب دور فاعل وبخاصة في التجارة الخارجية والاستثمار (٧٢) .

ولعل من أسباب الحاجة إلى اللامركزية على وفق ما يذكره فوكوياما هو ازدياد تعقيد تكنولوجيا الاقتصادات الحديثة الذي فرض درجة أعلى من اللامركزية في صناعة القرار الاقتصادي، ولذلك فأن هذا البعد المحلي يعلل فشل نظام التخطيط المركزي الاشتراكي وعدم قابليته للتطبيق والاستخدام في ظل

التعقيد التكنولوجي المعاصر، إذ ليس بمقدور أي مخطط كان استيعاب المعارف المحلية كلها التي يولدها الاقتصاد الحديث، ومن ثم العمل بمقتضاها، بل يمكن أداؤها بشكل أفضل بكثير من قبل صناع قرار لا مركزيين يتفاعلون داخليا عبر الأسواق الاقتصادية (٧٣)، كما أن نقل سلطة اتخاذ القرار إلى أسفل التراتبية، بحيث تكون في موقع أقرب إلى مصادر المعلومات المحلية، يتيح للمؤسسات فرصة الاستجابة بسرعة أكبر لأنماط معينة من التغييرات في البيئة الخارجية، وتكتسب هذه القدرة أهمية خاصة في حقب التغير التكنولوجي السريع الذي يتحتم على المؤسسات التكيف معه بمرونة، عندما تكون تلك التغيرات طفيفة أو دقيقة نسبيا، غالبا ما تكون المؤسسة اللامركزية أكثر قدرة على تعديل سلوكها لتتلاءم معها لأن وحدات المستوى الأدنى في التراتبية أصغر حجما وأقل التزاما بطريقة محددة في ممارسة عملها (٧٤) .

وعلى الرغم من الايجابيات التي ذكرها فوكوياما فأنه يذكر سلبياتها أيضاً وخصوصا في السلطة السياسية، إذ يبين ذلك بقوله ((تفويض السلطة إلى حكومة الولاية المحلية يعني بالضرورة تقريبا اختلافا وتفاوتا أكبر في الأداء الحكومي في أحيان كثيرة يكون التفاوت والاختلاف مطلوبين، عندما تنهمك الولايات في تنافس على تجارب الإصلاح السياسي)) (٧٥)، وفي حديثه عن اللامركزية في دول العالم الثالث فأنه يقول ((غالبا ما يعني تفويض السلطة إلى حكومة الولاية أو الحكومة المحلية في بلدان العالم الثالث تمكين النخب المحلية وشبكات الرعاية الزبائنية من الاحتفاظ بسطوتها وسيطرتها على شؤونها الخاصة، بمنأى عن آليات الرقابة والتدقيق الخارجية، أحد أهم أسباب إعادة مركزة السلطة

السياسية في العالم ضمان حد أدنى من معايير السلوك السليم والبعيد عن الفساد في مختلف مجالات الإدارة العامة)) (٧٦) .

مثلما ذكر سابقا فإن الحديث عن اللامركزية في العراق قد ازداد بعد عام ٢٠٠٣، بالرغم من أن جذوره تمتد إلى مدة أبعد من ذلك – لا سيما مع الكُرد –، فهذه المسألة لم تشغل السياسيين فقط، بل شملت حتى عامة الشعب، ولعل الإجابة عن أهمية اللامركزية وايجابياتها توجد عند فوكوياما وبخاصة في مجال إدارة الدولة لا سيما عند أداء العمل الوظيفي، لكن مع اللامركزية في الشؤون الأخرى، فإن لفوكوياما رأيا مختلفا خصوصا مع دول العالم الثالث التي ينتمي لها العراق، فمتى ما توفرت الموانع كالرقابة المالية والإدارية التي تمنع الحكومة المحلية من ارتكاب الأخطاء، ربما ستكون اللامركزية عاملاً مساعداً في سرعة بناء الدولة، أما مع عدم توفر الموانع فالسلطة المركزية تكون هي الأفضل .

الخـــاتـــمة:

١– مشكلة الحكم والإدارة بصورة خاصة، ومشكلة بناء الدولة بصورة عامة لم تُحل بعد أن استقرت أغلب دول العالم، لأن هذه المشكلة ما زالت تحتل مرتبة الصدارة في الدول النامية بالرغم من أنها قد شغلت الفكر البشري منذ العصور القديمة، أما الان فهي لم تكتف بتأثيرها في الدولة ذاتها بل تعدتها إلى الدول العظمى، وذلك لأن العالم أصبح اليوم عبارة عن قرية صغيرة، فأية مشكلة في دولة ستؤثر على دول أخرى .

٢– من أهم العوامل التي تدفع إلى بناء الدولة عند فوكوياما هو عامل الحرب، إذ تعد لديه محركاً لعملية التغيير والتطور، ورؤيته هذه امتداد لرؤية الفيلسوف

الألماني هيجل الذي كان حاضرا بقوة في أطروحته نهاية التاريخ والإنسان الأخير، وهناك مؤثر آخر لرؤية فوكوياما عن الحرب ألا وهو الرؤية الأمريكية الدينية التي تسود فيها مفاهيم مؤيدة للحرب مثل الحرب العادلة أو الحرب المقدسة، ولكن دور الحرب في عملية بناء الدولة لا ينطبق مع دول العالم الثالث، بل هي تُسهم بتأثير من حيث تغيير البنى الاجتماعية، وربما تنتقل إلى البنى السياسية والاقتصادية .

٣- في مسألة بناء الدولة تبرز إشكالية تآكل السيادة، لأن أغلب عمليات بناء الدولة في العصر الحالي تتم عن طريق تدخل خارجي، سواء أكان لدوافع أمنية أم لدوافع إنسانية، لهذا يلاحظ في مرحلة التدخلات الخارجية للدول وبخاصة في عقد التسعينيات من القرن العشرين ازداد الاهتمام بالدراسات التي تخص التدخل لدواع إنسانية .

٤- أما مسألة بناء دولة العراق ما بعد صدام فأنه يلاحظ تشابه بين الدور البريطاني في عملية بناء دولة العراق عام ١٩٢١، والدور الأمريكي عام ٢٠٠٣، ويتبين من خلاله تشابه السياستين واختلافهما من الداخل حول الكيفية لبناء الدولة.

٥- إن المسؤول الأول عن عملية بناء دولة العراق ما بعد صدام هي الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لمسؤوليتها عن التغيير وتبنيها مشروع التخلص من أسلحة الدمار الشامل العراقية، والتخلص من نظام صدام، وإقامة دولة ديمقراطية تكون نموذجا يحتذى به في الشرق الأوسط .

٦- يتميز موقف فوكوياما عن الحرب الأمريكية على العراق بأنه موقف مرتبك، فهو في البدء كان مؤيدا بل من الموقعين على طلب شن حملة عسكرية ضد العراق، ومن ثم اختلف مع تياره- المحافظين الجدد- حول العراق من خلال رفضه، بعد ذلك يلاحظ من خلال نصوصه أنه يمتلك موقفا مرتبكا عن الحرب الأمريكية على العراق .

٧- إن عزيمة الولايات المتحدة الأمريكية مختلفة عن ما كانت عليه قبل إسقاط النظام إذ لم تعمل على بناء دولة تكون نموذجا لدول المنطقة من حيث الرفاه الاقتصادي والديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان، مثلما كانت تدعي في أسباب الحرب، ويلاحظ بأن هذه الأمور مرهونة بالناخب الأمريكي والرأي العام، وتسليط الإعلام على الحدث، فمتى ما غاب اهتمام الناخب والرأي العام عن العراق تقلص الدور الأمريكي في بناء الدولة.

٨- وفي مجال المقارنة بين أفغانستان والعراق، فأن أفغانستان تبقى للأمريكان محل اهتمام أكثر من العراق على المستوى الاقتصادي لأن تكلفة الحرب أقل، أما على المستوى السياسي فيفترض الاهتمام بالعراق أكثر لأن أمريكا وعدت بإقامة دولة ديمقراطية .

٩- على الرغم من أن المسؤول الأول عن عملية بناء دولة العراق هو الولايات المتحدة الأمريكية، يبقى هناك دور للسياسيين العراقيين من خلال عملية الإصلاح المؤسساتي ، لا سيما أن العراق قد تعدى بعض الأطوار في عملية البناء، وما تبقى هو إصلاح المؤسسات الاقتصادية وتقوية المؤسسات السياسية وبناء المؤسسات الأمنية.

١٠- ربما تكون من أبرز المسائل التي تشغل العراق ما بعد صدام هو القبول بالتحديث والاعتماد عليه ، خصوصا أن العراق يملك مؤهلات لذلك متمثلة بالثروة الاقتصادية واستغلالها بصورة صحيحة، وتطوير الموارد البشرية، والقبول بالتحديث على إطار دول حافظت على قيمها مع تبنيها للتحديث، أما المسألة الأخرى فهي اللامركزية، فربما يكون هذا الأمر نافعا مع المؤسسات الاقتصادية والخدمية لكنه مع المؤسسات السياسية وخصوصا السلطة اللامركزية المتمثلة بالسلطات المحلية فيبقى مرهونا بقدرة هذه السلطات على منع الفساد المالي والإداري، والإدارة الجيدة ووجود كفاءات تضمن سلامة الإدارة وإلا فالسلطة المركزية تكون أفضل .

الهوامش :-

١- ينظر: en-wikipedea.org/wiki/francis- fukuyama-77k

٢- ينظر: www.sais-jhu-edu/faculty/fukuyama/-40k

٣- لقد طرح فوكوياما فكرته هذه في بادئ الأمر في مجلة The National Interest خلال صيف ١٩٨٩ في مقال تحت عنوان (نهاية التاريخ) تضمن هذا المقال رؤية فوكوياما التي عبر عنها بذكره إلى أن الديمقراطية الليبرالية بإمكانها أن تشكل فعلاً (منتهى التطور الإيديولوجي للإنسانية)، والشكل النهائي لأي فكر أنساني أي أنها من هذه الزاوية نهاية التاريخ، (فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين و آخرون، مراجعة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٣.) .

٤- حاول فوكوياما في هذا الكتاب تحليل العوامل الاجتماعية التي تخلق الثروة وكذلك بين في هذا الكتاب أفضل الطرق لتسخير هذه العوامل الاجتماعية التي تخلق الثروة .

٥- في هذا الكتاب قدم دراسة للمجتمع الغربي، ذكر فيها إن نظاماً اجتماعياً بدأ يتشكل من خلال أحدث المعلومات الاجتماعية والنظريات الجديدة في مجالات متعددة ومتنوعة تمتد من الاقتصاد إلى البايلوجي، وأكد ضرورة وجود جانب من الفطرة البشرية وهو الحاجة إلى إقامة الروابط الاجتماعية مع بعضنا البعض لخلق نسيج اجتماعي بإطار جديد.(فوكوياما، التصدع العظيم، ترجمة عزة حسن كبة، بيت الحكمة، بغداد، ط أولى، ٢٠٠٤، ص٤- ٦.).

٦- إن الهدف الرئيس من تأليف هذا الكتاب هو ما أشار إليه فوكوياما بقوله ((إن أخطر ما تهددنا به البيوتكنولوجيه المعاصرة هو احتمال أن تتغير الطبيعة البشرية، ومن ثم تدفع بنا إلى مرحلة ما بعد البشرية من التاريخ أقول إن هذا أمر مهم لأن الطبيعة البشرية الموجودة هي مفهوم ذو مغزى وفر استمرارية وطيدة لخبرتنا كجنس الطبيعة البشرية مع الدين هما ما يحدد أهم قيمنا الأساسية)) (فوكوياما فرنسيس، نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجيه، ترجمة أحمد مستجير، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٣٣ .) .

٧-ألقى فوكوياما في ١١، ١٢، ١٩ نيسان ٢٠٠٥ أجزاء من هذا الكتاب في محاضرات كاسل التي ألقاها في جامعة ييل في برنامج ييل في الأخلاق والسياسة. موضوع هذا الكتاب هو السياسة الخارجية الأمريكية ضد هجمات القاعدة في ١١\ أيلول \ سبتمبر ٢٠٠١ ،(فوكوياما، فرنسيس، أمريكا على مفترق الطرق، ترجمة محمد محمود توبه، العبيكان، السعودية، ط أولى، ٢٠٠٧، ص ٩، ١٣.) .

٨- إذا تتبعنا مفهوم الدولة في بعض المعاجم فإننا نجده يعني في اللغة ((الاستيلاء والغلبة والشيء المتداول)) (مصطفى، إبراهيم، واخرون، المعجم الوسيط، ج الأول، مطبعة باقري، ط ثانية، ١٤٢٧ هـ،ص ٣٠٤.) ، وهذا الأمر مشابه لما يذهب إليه

المعجم الماركسي إذ الدولة تعني(أداة التسلط السياسي في المجتمع الطبقي) (نخبة من المؤلفين الروس، المعجم الفلسفي المختصر (رؤية ماركسية)، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، ١٩٨٦، ص٢١٨ .)، وفي معجم لالاند مفهوم الدولة هو((مجتمع منظم ذو حكومة مستقلة ويضطلع بدور شخص معنوي، اعتباري مميز تجاه المجتمعات المماثلة الأخرى التي يقيم معها علاقات)) (لالاند، اندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، مج الأول، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط أولى، ١٩٩٦، ص٣٦٩.) .

٩- ينظر :زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، ، مادة دولة لـ عبد الغني غنوم، مج الأول، مركز الإنماء القومي، ط أولى، ١٩٨٦ ،ص٤٢٥ .

١٠-لو أخذنا نماذج من رؤى الفلاسفة لوجدنا إن أفلاطون يعتبر الدولة بمثابة شخص أو وحدة حية مكونة من أجزاء منسجمة تترابط ببعضها البعض وتهدف إلى غرض واحد هي تحقيق الخير (صالح، غانم محمد، الفكر السياسي القديم والوسيط، مطبعة التعليم العالي العراقية، بغداد، ١٩٨٨، ص١٥.)، أما ارسطو فان الدولة لديه أعلى أنواع الجماعات وتهدف إلى أسمى الغايات والأسرة تأتي قبل الدولة في الترتيب الزمني وإذا اجتمع عدد من الأسر تكونت القرية ومن جملة قرى تتكون الدولة على شرط أن يكون اجتماعها من سعة النطاق بحيث يتيح لها أن تكتفي ذاتيا (صالح، غانم محمد، الفكر السياسي القديم والوسيط، ص٩٨.)، أما هوبز فقد نظر للدولة على أنها تنين كبير يجمع في ثناياها كل أفراد المجتمع، ومنبع النظرة الهوبزية للدولة ناتج عن نظريته في العلاقة بين حماية الأفراد وطاعتهم، أي أن تحمي الدولة أفرادها مقابل طاعة الأفراد للدولة وعلى ذلك يرى هوبز إن على الدولة أن تملك من السيادة والقوة بحيث تكون فوق كل اعتبار(ظاهر، احمد جمال، دراسات في الفلسفة السياسية، دار مكتبة الكندي، عمان، ط أولى ، ١٩٨٨، ص٥١.)، وهي عند كانت اتحاد مجموعة

من الناس تحت قوانين شرعية وبالقدر الذي به تكون هذه القوانين ضرورية قبلية، أي صادرة طبيعية عن مفهومات القانون (الحق) الخارجي بوجه عام (لا بواسطة اللوائح والنظم فأن شكلها هو شكل دولة بوجه عام)(بدوي، عبد الرحمن، فلسفة القانون والسياسة (امانويل كانت –٣–)، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩ ، ص٨٧٨٨.)، وما يلاحظ في موضوع الدولة إن الماركسية لم تتمكن من إعداد نظرية عن الدولة لا نظرية عن الدولة الرأسمالية الحديثة(الليبرالية) ولا نظرية عن الدولة الاشتراكية، لسبب أساسي: ذلك أنها كانت مهتمة قبل كل شيء بمسألة الحزب الثوري، بنظريته وبنائه والحال إن هذين الاهتمامين متعارضان في الواقع (توزيل، اندريه، وآخرون، ماركس ونقده للسياسة، ترجمة جوزيف عبدالله، التنوير، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٨٣ .) .

١١– ينظر: زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، ص .٤٢٦

١٢–ينظر: فارلي، كولن، مقدمة في النظريات السياسية المعاصرة، ترجمة محمد زاهي المغيري و نجيب المحجوب الحصادي، جامعة قار يونس، بنغازي، ط أولى، ٢٠٠٨، ص ٨٧.

١٣– ينظر: صديقي، سعيد، الدولة في عالم متغير، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي ، ط أولى، ٢٠٠٨، ص١٨ .

١٤–فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة (النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين)، ترجمة مجاب الإمام، العبيكان، السعودية، ٢٠٠٧، ص ٤١ .

١٥– فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص٣٥ .

١٦– الحروب: لقد اقترحت عدة تعريفات لظاهرة (الحرب) هي: ((١– تعريف كنسي رايت Quincy write الذي يهتم بالمظهر التشريعي للحرب بقوله : إن الحرب هي الأساس القانوني الذي يتيح لجماعتين أو عدة جماعات متعادية أن تحل النزاع في ما بينها بقواتها المسلحة ٢– أما كلوز فتز Clausevitz فيقول إن الحرب عمل من أعمال العنف يهدف إلى إرغام الخصم على تنفيذ إرادتنا٣– أما مارتن Marten

فيذكر أن الحرب عبارة عن صراع بين الناس. ٤- وقول كل من بنكر تشك Bynkherscheek وتونز Twins وجيفكن Geffken وبلنتشلي Bluntschi وبراديه Pradier وشارل ديبوس Charles Dupuis بأن الحرب هي صراع بين دول مستقلة ولها صفة دولية))(الجميل، سيار، الحرب ظاهرة تاريخية ٠٠٠مدخل من اجل فهم سوسيولوجي، مجلة عالم الفكر، عدد ٢، مجلد٣٦، أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٧، ص١٣) .

١٧- فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص٤٢.

١٨- المصدر نفسه، ص٨٦ .

١٩- فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص٩٥ .

٢٠- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

٢١- لو تتبعنا مسيرة الفكر الفلسفي منذ اليونان لوجدنا أن هذه الظاهرة (الحرب) نالت عناية خاصة، إذ نجد الفيلسوف اليوناني هيرقليطس(Heraclites) يجعل الحرب جزءاً أساسيا من الوجود، ويذكر إن ((الحرب هي أم الأشياء كلها، هي ملكة جميع الأشياء، إنها ترفع البعض إلى مرتبة الآلهة وتجعل من البعض الآخر بشراً: تجعل البعض عبيداً والبعض الآخر أحرارا)) (هنا، غانم، مفهوم الحرب بين نيتشه وهايدغر، عالم الفكر، عدد٢، مج ٣٦، أكتوبر- ديسمبر ٢٠٠٧، ص٣٧- ٣٨ .)، ولكن هذه الأهمية للحرب وما تعطيه من دفع للإنسان نحو تحديد المصير لا تمثل الرؤية المعبرة للفلسفة اليونانية، فهذا أفلاطون وعلى لسان سقراط يذم الحرب وما تجلبه من ويلات إذ يقول ((الحرب هي مصدر شر الويلات التي تحل بالدولة جماعة وأفرادا))(أفلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، مكتبة النهضة، بغداد، ط أولى، ١٩٨٣، ص٦١.)،وفي الفلسفة الإسلامية يذكر الفارابي رأيين عن الحرب ((الأول هو الرأي الذي يقول إن غلبة الآخرين والهيمنة عليهم هو الحالة الطبيعية للإنسان، والحرب بالتالي هي المجرى

العادل الوحيد، بصورة كلية للسلوك والثاني هو الرأي الذي يقول أن الحالة الطبيعية للإنسان هي السلام الكلي، والتعايش السلمي معاً وذلك بالتالي هو المجرى العادل الوحيد للسلوك))(شتراوس، ليو، وكروبسي، جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، ج الأول، ترجمة محمود سيد احمد،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٥، ص٣٢٤.). يتبين أن موقف الفارابي من الحرب هو موقف تحليلي لظاهرة الحرب ولم يكن مؤيداً لها أو رافضا، وإنما جاء رأيه لتعامله معها على أنها ظاهرة موجودة في المجتمعات.

٢٢- ينظر: مرسي، فؤاد، الدولة عند هيجل، مجلة الفكر المعاصر، تصدر عن الهيئة المصرية للتأليف والنشر، عدد ٦٧، مجلد ١٢، ١٩٧٠، ص٤٨ .

٢٣- ينظر: شتراوس، ليو، وكروبسي، جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، ج الثاني، ص٤٠٠ .

٢٤- ينظر: هنا، غانم، مفهوم الحرب بين نيتشه وهايدغر، ص٣٩.

٢٥- ينظر: كوربت، مايكل، كوربت، جوليا ميتشل، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ج الأول، ترجمة عصام فايز، وناهد وصفي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ثانية، ٢٠٠٢، ص١٢١.

٢٦- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٢.

٢٧- ينظر: فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص٣٥ .

٢٨- ينظر: المصدر نفسه، ص٣٧ .

٢٩- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

٣٠- ينظر: المصدر نفسه، ص٦٦ .

٣١- ينظر: المصدر نفسه، ص٣٧ .

٣٢- ينظر: المصدر نفسه،ص١٦٧ .

٣٣- غريفيش، مارتن، واوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مركز

الخليج للأبحاث، ط أولى، ٢٠٠٨، ص١٣٢ .

٣٤- ينظر: بودريار، جان، ذهنية الإرهاب، ترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط أولى، ٢٠٠٣، ص ٢٢-٢٣ .

٣٥- ينظر: فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص٨٧ .

٣٦- ينظر: المصدر نفسه، ص٧٠ .

٣٧- المصدر نفسه، ص ٧١ .

٣٨- المصدر نفسه، ص٧٤ .

٣٩- المصدر نفسه، ص ٧٩ .

٤٠- ينظر: ستانسفيلد، جاريث، العراق – الشعب و التاريخ والسياسة – ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط أولى، ٢٠٠٩، ص١٧ .

٤١- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

٤٢- ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٣- ٣٤ .

٤٣- ينظر: ستانسفيلد، جاريث، العراق – الشعب و التاريخ والسياسة –، ص.٤٤

٤٤- ينظر: فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص ١٦٩ .

٤٥- ينظر: المصدر نفسه، ص.١٧٣

٤٦- ينظر: نخبة من الباحثين، الإستراتيجية الأمريكية في العراق والمنطقة، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠٠٨، ص١٣١ .

٤٧- ينظر: إن أول من استعمل مصطلح تيار المحافظين الجدد هو المفكر الأمريكي مايكل هارنغتون الذي كان مفكراً يسارياً، وزعيما للاشتراكيين الديمقراطيين في الولايات المتحدة لسنوات طويلة حتى وفاته في عام ١٩٨٩، وسريعاً ما تبنى أحد أبرز كتاب اليمين الأمريكي، وهو أيرفنغ كريستول هذا المصطلح واصفاً نفسه بأنه محافظ جديد، وقد حمل المحافظون الجدد رؤية نقدية لحقبتي بوش الأب وكلينتون، إذ يرى المتمون

لهذا التيار إن المرحلة من عام ١٩٩١ إلى ٢٠٠١ كانت مرحلة فقدان أمريكا لرؤيتها ولموقعها وذلك نتيجة عدم إدراك الفرص والمخاطر الحقيقية المتوقعة التي أفرزها انهيار الاتحاد السوفيتي، وثمة علاقة بين أقطاب المحافظين الجدد وأفكار الفيلسوف اليهودي الألماني الأصل ليو شتراوس وهي علاقة تربط تلك الأفكار بالمشروع الأمريكي لعالم أحادي القطبية، وقد تتلمذ على يد شتراوس جملة من أقطاب هذا التيار منهم هارفي مانسفيلد وجوزيف وكروبسي ولاحقاً تتلمذ على يد مانسفيلد كل من فوكوياما ووليم كريستول فيما تتلمذ بول وولفتز وأبراهام شولسكي على يد جوزيف كروبسي((١- كرم، سمير، ليو شتراوس واليمين الأمريكي، مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد٢٩٥، أيلول ٢٠٠٣، ص١٧٤.

٢- قبيسي، هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط أولى، ٢٠٠٨، ص١٧ .)) .

٤٨- ينظر: قبيسي، هادي، السياسة الخارجية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية، ص١٣٢ .

٤٩- فوكوياما، فرنسيس، أمريكا على مفترق طرق، ص.١٠

٥٠- فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص ١٧٣- .١٧٤

٥١- المصدر نفسه، ص.١٧٤

٥٢- ينظر: فؤاد عجمي أمريكي من أصول لبنانية، وهو باحث في معهد الدراسات الدولية في جامعة جونز هوبكنز .

٥٣- ينظر: براون، كارل، بلاط الحلم الأمريكي هل العراق فشل نبيل ؟، منشور في ضمن كتاب بوش في أور، ترجمة أمير دوشي، مركز أور للدراسات، العراق، ط أولى، ٢٠٠٧، ص .٩٥

٥٤- فوكوياما، بناء الدولة، ص.٣٣

٥٥- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

٥٦- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

٥٧- ينظر: المصدر نفسه، ص٣١ .

٥٨- ينظر: المصدر نفسه، ص٣١-٣٢ .

٥٩- المصدر نفسه، ص.٣٣

٦٠- المصدر نفسه، ص ٢٨ .

٦١- ينظر: فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص١٧٦ .

٦٢- ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

٦٣- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧٦- .١٧٧

٦٤- ينظر: المصدر نفسه، ص.٨٦

٦٥- ينظر: بو زيد، بو مدين، فلسفة العدالة في عصر العولمة، منشورات الاختلاف، جزائر، ط أولى، ٢٠٠٩، ص٢١١ .

٦٦- ينظر: فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص .٨٧

٦٧- ينظر: هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط أولى، ١٩٩٩،ص ١٤٧.

٦٨- ينظر: هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ص.١٥٣

٦٩- ينظر: سعدي، محمد، حول صراع الحضارات، أفريقيا الشرق، المغرب،٢٠٠٦، ص.٥٣

٧٠- ينظر: فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص .١٣٥

٧١- ينظر: الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ج٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بدون سنة طبع، ص٤٧٩ .

٧٢- ينظر: بليند، راؤول، باسما، شاندرا، حوار عالمي حول الفدرالية، ج الخامس، ترجمة مها البسطامي، منتدى الاتحادات الفدرالية، أوتاوا- كندا، ٢٠٠٧، ص.٣٧

٧٣- ينظر: فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة، ص.١٣٤

٧٤- ينظر: المصدر نفسه، ص.١٣٥

٧٥- المصدر نفسه، ص ١٣٧.

٧٦- ينظر: المصدر نفسه، ص ١٣٨.

المصـــــادر :

أ- الكتـــــب والبحـــــوث :

١- أفلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، مكتبة النهضة، بغداد، ط أولى، ١٩٨٣.

٢- بدوي، عبد الرحمن، فلسفة القانون والسياسة (أمانويل كانت -٣-)، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩.

٣- براون، كارل، بلاط الحلم الأمريكي هل العراق فشل نبيل ؟، منشور في كتاب بوش في أور، ترجمة أمير دوشي، مركز أور للدراسات، العراق، ط أولى، ٢٠٠٧.

٤- بليند، راؤول، باسما، شاندرا، حوار عالمي حول الفدرالية، ج الخامس، ترجمة مها البسطامي، منتدى الاتحادات الفدرالية، أوتاوا- كندا، ٢٠٠٧.

٥- بودريار، جان، واخرون، ذهنية الإرهاب، ترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط أولى، ٢٠٠٣.

٦- بو زيد، بو مدين، فلسفة العدالة في عصر العولمة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط أولى، ٢٠٠٩.

٧- توزيل، اندريه، واخرون، ماركس ونقده للسياسة، ترجمة جوزيف عبدالله، التنوير، بيروت، ٢٠٠٦.

٨- الجميل، سيار، الحرب ظاهرة تاريخية ٠٠٠مدخل من اجل فهم سوسيولوجي،

مجلة عالم الفكر، عدد ٢، مجلد٣٦، أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٧.
٩–زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، مادة دولة لـ عبد الغني غنوم، مج الأول، مركز الإنماء القومي، ط أولى، ١٩٨٦.
١٠– ستانسفيلد، جاريث، العراق – الشعب و التاريخ والسياسة – ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، ط أولى ، ٢٠٠٩.
١١– سعدي، محمد، حول صراع الحضارات، أفريقيا الشرق، المغرب،٢٠٠٦ .
١٢– شتراوس، ليو، وكروبسي، جوزيف، تاريخ الفلسفة السياسية، ج الأول، ترجمة محمود سيد احمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٥.
١٣– صالح، غانم محمد، الفكر السياسي القديم والوسيط، مطبعة التعليم العالي العراقية، بغداد، .١٩٨٨
١٤– الصديقي، سعيد، الدولة في عالم متغير، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ط أولى ، ٢٠٠٨ .
١٥– ظاهر، احمد جمال، دراسات في الفلسفة السياسية، دار مكتبة الكندي، عمان، ط أولى، ١٩٨٨.
١٦– غريفيش، مارتن، واوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مركز الخليج للأبحاث، ط أولى، ٢٠٠٨.
١٧– فارلي، كولن، مقدمة في النظريات السياسية المعاصرة، ترجمة محمد زاهي المغيري و نجيب المحجوب ألحصادي، جامعة قار يونس، بنغازي، ط أولى ، ٢٠٠٨.
١٨– فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين و آخرون، مراجعة مطاع صفدي ، مركز الإنماء القومي، بيروت، .١٩٩٩
١٩– فوكوياما، التصدع العظيم، ترجمة عزة حسن كبة، بيت الحكمة، بغداد، ط أولى، ٢٠٠٤.

٢٠- فوكوياما فرنسيس، نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجيه، ترجمة احمد مستجير، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣ .

٢١- فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة (النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين)، ترجمة مجاب الإمام، العبيكان، السعودية، ٢٠٠٧ .

٢٢-فوكوياما، فرنسيس، أمريكا على مفترق طرق، ترجمة محمد محمود توبه، العبيكان، السعودية، ط أولى، ٢٠٠٧ .

٢٣- قبيسي، هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظية الجديدة والواقعية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط أولى، ٢٠٠٨.

٢٤- كرم، سمير، ليو شتراوس واليمين الأمريكي، مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد٢٩٥، أيلول، ٢٠٠٣.

٢٥- كوربت، مايكل، كوربت، جوليا ميتشل، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ج الأول، ترجمة عصام فايز، وناهد وصفي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ثانية، ٢٠٠٢.

٢٦- الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ج٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بدون سنة طبع.

٢٧- لالاند، اندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، مج الأول،ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط أولى، ١٩٩٦ .

٢٨- مرسي، فؤاد، الدولة عند هيجل، مجلة الفكر المعاصر، تصدر عن الهيئة المصرية للتأليف والنشر، عدد ٦٧، مجلد ١٢، ١٩٧٠.

٢٩- مصطفى، إبراهيم، واخرون، المعجم الوسيط، ج الأول، مطبعة باقري، ط ثانية، ١٤٢٧ هـ .

٣٠- ملحم، جهاد، العلم والحرب، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد٢، مجلد٣٦، أكتوبر -ديسمبر ٢٠٠٧.

٣١- نخبة من المؤلفين الروس، المعجم الفلسفي المختصر (رؤية ماركسية)، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، ١٩٨٦.

٣٢- نخبة من الباحثين، الإستراتيجية الأمريكية في العراق والمنطقة، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠٠٨.

٣٣- هنا، غانم، مفهوم الحرب بين نيتشه وهايدغر، عالم الفكر، عدد٢، مج ٣٦، أكتوبر- ديسمبر ٢٠٠٧.

٣٤-هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط أولى، ١٩٩٩.

ب- شبكة المعلومات (الانترنت) :-

٣٥- en-wikipedea.org/wiki/francis- fukuyama-77k

٣٦- www.sais-jhu-edu/faculty/fukuyama/-40k